وزارة التعلم العالي/ جامعة المثنى
كلية التربية الاساسية/ قسم التاريخ
العام الدراسي (2024-2023)

المادة: فلسفة التاريخ (الكورس الاول)
المرحلة الثالثة
استاذة المادة: م د ريام غانم نجيب

المحاضرة السادسة

تفسيرات حركة التاريخ

أولا: التفسير البطولي:

يعد الاتجاه البطولي في تفسير التاريخ من أقدم التفسيرات التي عرفها الإنسان، وهو يعني أن أعمال الرجال العظماء هي التي تصنع الحوادث التاريخية في هذا العالم. ولقد بدأ هذا الاتجاه منذ زمن اليونان فملحمتا الألياذة والأوديسة للشاعر اليوناني هوميروس، تعتبران نموذجاً لتمجيد الأبطال والبطولة . ولقد جاء في مقدمة كتب المؤرخ اليوناني هيرودوت (٤٨٤ - ٤٢٥ ق . م)، التسعة المعروفة باسم التواريخ، بأنه دون تاريخه الرجال العظام، وحتى لا تبقى الانجازات الرائعة دون تمجيد أو اعجاب وحتى لا يطمس الزمن أعمالهم وبعد هيرودوت جاء المؤرخ اليوناني توكيديدس (٤٦٥ - ٤٠١ ق . م)، بنظرية الرجل العظيم، وفيها يوضح الدور الذي يلعبه الأبطال في صنع التاريخ، لأن أعمال الأبطال من ملوك وقادة، وشجاعتهم هي التي صنعت التاريخ . فهذه النظرية أولت اهتمامها لسير الأفراد الذين ساعدوا على تحويل مجرى التاريخ. ولقد استمرت نظرية الرجل العظيم في تفسير التاريخ خلال العصور الوسطى والحديثة وإلى ذلك يشير الفيلسوف الانكليزي هربرت سبنسر (١٨٢٠ - ١٩٠٣م)، حيث يقول: **"بأن الملك في العصور الماضية كان يمثل كل شيء بينما بقية أفراد الشعب كانوا لا يمثلون شيئاً"**، ومن أشهر المدافعين عن نظرية التفسير البطولي للتاريخ توماس كارليل الفيلسوف والمؤرخ الاسكتلندي الذي عاش ما بين (١٧٩٥ – ١٨٨٥)، وكان ذلك في كتابه الأبطال، حيث يقول: **"في اعتقادي أن التاريخ العام إنما هو تاريخ من ظهر في الدنيا من العظماء، فهم الأئمة وهم المكيفون للأمور وهم الأسوة والقدوة، وهم المبدعون لكل ما وفق إليه أهل الدنيا، وكل ما بلغه العالم، وكل ما تراه في هذا الوجود"**.

وعلى الرغم من اهمية نظرية الرجل العظيم في التفسير البطولي لحركة التأريخ إلا انها واجهت نقدا كبيرا كونها تتجاهل دور البيئة الاجتماعية والأوضاع الاقتصادية التي يظهر من خلالها اولئك الأفراد المتفوقون ويمارسون نشاطهم في محيطهم، لأنه ما من فرد يصنع التاريخ إلا وهو محدود بثقافته وبالحضارة التي ينتمي إليها إن الإنسان لا يستطيع أن يفعل إلا ما تسمح به حضارته، ولكن الاتجاه البطولي في تفسير التاريخ ما زال له أنصاره من العلماء والفلاسفة والمؤرخين الذين يرون أن أعمال الرجال العظماء هي التي توجه الحوادث التاريخية وتساعد على تغيير وجه العالم بين آونه وأخرى . وما زالت سير وتراجم العظماء والأبطال تعد فرعاً من فروع التاريخ السياسي.

ثانيا: التفسير الديني:

أن التفسير الديني وجد منذ الأزمنة القديمة، ففي الحالات التي لم يستطع فيها المؤرخون تقديم بعض التفسيرات البطولية للتاريخ قدموا تفسيرات دينية نتيجة لاعتقادهم بوجود قوى خارقة تهيمن وتسيطر على العالم وتوجهه وسموها بالآلهة، ومثاله ما حدث لدى شعوب الشرق القديم؛ بلاد الرافدين وبلاد الشام ومصر وشعوب آسيا والاغريق، وأحياناً اعتبروا الملك على أنه هو الإله أو ممثل الإله على وجه الأرض ونسبوا إليه الحوادث التاريخية. فحركة التاريخ ليست سوى الخطة

الإلهية لخلاص العالم وهذه الخطة مقررة في خطوطها العامة منذ بدء الخليقة وحتى يوم القيامة ، وهذا التفسير ساد تواريخ التوراة ، كما أنه يتجاوب مع المنهج التاريخي للكنيسة المسيحية ولكن بصورة أعمق، وأما التفسير الإسلامي للتاريخ ، فإنه يدعو أيضاً إلى الاعتقاد بوجود الإله المسيطر على كل شيء، أو الموجة لكل شيء، ووفقاً لهذا التغيير تغدو حركة التاريخ لها الكون حركة واحدة تبدأ يوم خلق الله تعالى السموات والأرض وتتجه نحو يوم القيامة، إذن هنالك فريق من المؤرخين وهم من أصحاب النظرات الدينية في الزمان وفي التاريخ، وهؤلاء ربطوا الزمان بالخلق الأول وتمصير الإنسان في الدنيا وبنهاية يربط بها حساب وعقاب وثواب، ومن أبرز ممثلي هذا الاتجاه فليون بالنسبة إلى اليهودية، والقديس أوغسطين بالنسبة إلى المسيحية، وابن خلدون في الإسلام.

وهكذا نجد أن أنصار هذا التفسير يرون أن إرادة الله تعالى هي الموجهة لكل شيء سعير الحوادث التاريخية بواسطة توجيهها لأعمال البشر، سواء كانوا أفراداً أو جماعات.

ثالثا: التفسير الجغرافي:

وفكرة هذا التفسير أنه ينبغي تفسير التاريخ والبحث عن الحوادث التاريخية عن طريق ملاحظة تعاقب الأحوال الجغرافية والمناخية أيضاً، وحاول مفكرو هذا الاتجاه تفسير مظاهر التاريخ المتعددة في ضوء عامل واحد فقط، ونذكر من معتنقي هذا الاتجاه المؤرخ والفيلسوف الفرنسي مونتسكيو (١٩٨٩ - ١٧٥٥م)، الذي ركز اهتمامه على تعليل التاريخ بأسباب فيزيائية مثل المناخ والأحوال الجغرافية الأخرى، وهنالك أيضاً الفيلسوف الألماني هر در (١٧٤٤ - ١٨٣٠ م)، الذي فسر النمو الإنساني عن طريق البحث في ماهية اتصال الإنسان بالبيئة الطبيعية وعزا تقدم الحضارات البشرية في بعض المناطق دون غيرها، كما عزا أسباب الحلالها وتأخرها إلى عوامل مناحية جغرافية بحتة.

عالج ابن خلدون تأثير العامل الجغرافي في الانسان والحضارة في اطار حديثه عن طبائع الامم فأشار إلى تأثير الموقع الجغرافي من حيث اعتدال مناخه في اخلاق الناس وطبائعهم فذكر أن سكان الاقاليم المعتدلة هم أعدل اجساما والوانا واخلاقا وأديانا، وذكر أن: **"المناخ هو سبب اختلاف الوان البشر وتدرجهم من البياض إلى السواد فـ اللون تابع لمزاج الهواء"**. كما أشار إلى أن الاقوام تختلف باختلاف خصب الاراضي التي يعيشون عليها ، ونوع الاغذية التي يتغذون بها.

رابعا: التفسير العرقي:

أن حجر الزاوية الذي يقوم عليه التفسير العرقي للتاريخ هو الاعتقاد بأن بني الانسان لا يمثلون نوعا انسانيا واحدا يتساوى افراده في الخصائص والصفات التي تساعدهم على العطاء والابداع الحضاري، وانما هم يتألفون من عناصر او اعراق متنوعة لكل منها خصائصه الطبيعية والنفسية التي تميزه من غيره، يتفوق احد هذه العناصر او الاعراق على غيره في قدراته العقلية والابداعية التي تؤهله لبناء الحضارة وتطويرها .

وترجع جذور هذا التفسير العرقي للتاريخ إلى حياة العزلة وعدم التواصل الثقافي التي سادت العالم في العصور القديمة مما ساعد على تمركز ثقافة الجماعات البشرية حول ذاتها وعجزها عن تفهم طبيعة وافكار الجماعات الاخرى (الغريبة) عنها. وان مما يثير الدهشة أن تظهر آثار هذا التمركز حول الذات والعجز عن فهم الثقافات الاخرى لدى بعض فلاسفة اليونان **كأرسطو** الذي قسم سكان العالم إلى (أغريق وبرابرة). كذلك عدد كبير من المفكرين في الغرب وبخاصة منذ عصر الاستكشافات الجغرافية في القرن الخامس عشر وحتى النصف الاول من القرن العشرين .

لقد تنوعت النظرات والافكار التي قدمها الفكر العنصري خلال هذه الحقب الطويلة من الزمن وهي بمجملها تحاول أن تقيم ترابطاً محكما بين بعض الصفات التي يتصف بها العرق الابيض كلون البشرة وصفرة الشعر وزرقة العيون والجمجمة المستطيلة وبين التفوق العقلي والروحي الذي اعتقد رواد الفكر العنصري أنه يتمتع بها ويتميز بواسطتها من (الاعراق الدنيا)

رأى جوبينو أن التطور الحضاري للعالم قد أثبت أن هنالك عروقا مبدعة حضاريا واخرى عقيمة حضاريا، وان هذه الصفة ترجع إلى طبيعة كل عرق وليس هنالك قوة في العالم تستطيع تحويل العرق العقيم حضاريا إلى عرق مبدع. فالمسألة في نظره مسألة طبيعية (بيولوجية) تستند الى قوانين الوراثة وليس إلى شيء آخر كالثقافة وقوانين التأثر والتأثير. لذا فانه نفى لأن تكون لأي قوة في المحيط القدرة على اذابة وازالة الفروق (العرقية) مثل المسيحية التي اعتنقتها عروق مختلفة، فيبقى كل عرق محتفظ بخصائصه بالرغم من انهم يعتقدون بدين واحد.

أن الافكار العنصرية المذكورة آنفاً قد جعلت جوبينو يعارض فكرة المساواة والديمقراطية ويرى أن انتشار مبادئها خطر عظيم يهدد الحضارة البشرية بالفناء لأن الاختلاط بين الاعراق سيؤدي إلى فساد خصائص الاعراق العليا المتميزة وسيعطي الحق لكل فرد أن يسهم في حياة المجتمع السياسية والثقافية كالآخرين ومن ثم فلن يبقى سبب للتفوق والتمايز، وهذا يعني من وجهة النظر العنصرية موت المجتمع ونهاية المدنية البشرية كلها.

يلاحظ أن افكار جوبينو المذكورة آنفاً كانت امتداداً لافكار عدد من المؤرخين والمفكرين الألمان الذين دعوا إلى الفكر القومي العنصري من أمثال هيردر (١٧٤٤ - ١٨٠٣م)، وفخته (١٧٦٢ - ١٨١٤م) الذي أكد مسألة تفوق العرق الألماني على سائر الشعوب، وعدهم مناط تقدم البشرية ، ونيتشة (١٨٤٤ - ١٩٠٠م) الذي أشاد بالعناصر والاجناس الارستقراطية التي مارست الغزو في عهد الجرمان الأوائل ودعا إلى سيادة الرجل الاعلى (السوبرمان)، وتغنى بعظمة الفرد الآري ووصفه بـ (الحيوان التيوتوني الاشقر).

أثرت الافكار العنصرية المتقدمة الذكر تأثيراً عميقا في الفكر الاجتماعي والسياسي الغربي، وكان تأثيرها خطيراً في المانيا وايطاليا على وجه الخصوص إذ اعتنق الحزب النازي في المانيا والحزب الفاشي في ايطاليا هذه الافكار وسعى الحزبان إلى وضعها موضع التنفيذ بعد وصولهما الى الحكم في النصف الأول من القرن العشرين . وكان ذلك سببا رئيسا من اسباب قيام الحرب العالمية الثانية.

ومثاله مقتبس من خطاب لهتلر قائلا: **"لو أننا قسمنا الجنس الانساني إلى عناصره الثلاث: المؤسسون والمحافظون ، والمخربون ، لوجدنا أن العنصر الآري هو وحده الذي يمكن اعتباره ممثل العنصر الأول"**.

ونقدا لهذا التفسير والفكر نظمت منظمة اليونسكو عام 1967، في باريس مؤتمرا نقضت فيه الافكار القومية العنصرية والتي تتلخص في النقاط الآتية :

1-ان جميع الذين يعيشون اليوم ينتمون إلى جنس واحد وينحدرون من سلالة واحدة.

2-إن تقسيم الجنس البشري إلى (اعراق) انما يرجع احيانا إلى العرف واحيانا إلى التعصب، وهو لا ينطوي على أية حقيقة وراثية مطلقاً ويؤكد علماء الاجناس اهمية التنوع البشري، ولكنهم يعتقدون أن التقسيمات العرقية) لها أهمية علمية محدودة.

3-أن المعرفة الحالية بعلم الاحياء لا تسمح أن ننسب الانجازات الحضارية والثقافية إلى الاختلاف في القدرة العنصرية .

4-أن التفاوت في المنجزات بين الشعوب المختلفة ينبغي أن ينسب إلى تاريخها الثقافي، ويبدو أن شعوب العالم اليوم تملك قدرات حيوية متساوية لبلوغ أي مستوى في المدنية.

خامسا: التفسير الدوري:

ان تأريخ نشأة هذا الاتجاه في التفسير ظهر التفسير منذ زمن اليونان، ويدور هذا التفسير حول معنى رئيسي هو: **إن تاريخ العالم يجري في دورات متتالية ومتشابهة نوعا ما،** ويعتبر الفيلسوف اليوناني افلاطون، من ممثلي التفسير الدوري للتاريخ في ذلك الزمن، فهو يرى بأن التاريخ عبارة عن مجموعة من الدورات التي لا بد أن بالانحلال والتفكك ، ومن مؤيدي هذا التفسير المؤرخ العربي ابن خلدون الذي يرى بأن كل دولة يجب أن تمر بعدة أدوار هي **دور العمران،** ثم **دور القوة والازدهار** ثم **دور الضعف والانحلال،** ومن مؤيدي التفسير الدوري للتاريخ في العصور الحديثة المؤرخ الإيطالي فيكو (١٦٦٨ - ١٧٤٤م)، الذي وضع نظرية في تطور الأمم سماها بنظرية الدورات. وحسب هذه النظرية فإن كل أمة من الأم تمر في ثلاثة أدوار تنتهي إلى بربريتها وانحلاها، وهذه الأدوار هي الدور الإلهي، وفيه يعتقد الناس بأن الآلهة تدير كل شيء والدور البطولي، وهو دور الشخصيات الهامة القوية، والدور الإنساني، وهو دور الحضارة الحقيقية التي تسود فيها المساواة الطبيعية بين الناس، والقوانين التي يتساوى فيها الجميع، وبعد هذه الأدوار الثلاثة تصاب الحضارة بالانتكاس وتعود إلى بربرية جديدة.

وهنالك أيضاً المؤرخ الألماني شبنغلر(١٨٨٠- ١٩٣٦ م) وذكر في نظريته عن الحضارة، ان التاريخ حسب اعتقاده إنما هو مسرح لعدد كبير من الحضارات، وتاريخ كل حضارة كتاريخ الكائن العضوي أي أنها تنشأ وتنضج ثم تذبل وتموت، وكما أن سياق الحياة واحد بالنسبة للكائنات الحية فللحضارات سياق واحد تسير عليه. والتاريخ إذن إنما هو مجموعة دورات حياة حضارية، ولكل حضارة دورة حياة مقفلة ولها سماتها الخاصة بها.

ولقد تأثر الفيلسوف والمؤرخ الانجليزي وارنولد توينبي (١٨٨٩- ١٩٩٧م) ، بنظرية شبنغلر السابقة، ولقد جاء توينبي **بنظرية التحدي** التي يقول فيها بأن كل حضارة تمر بثلاثة أطوار تضعف في نهايتها، ويرى توينبي أيضا بأن الحضارة تنشا بالتحدي، عندما تتحدى ظروف المجتمع وتنشأ أقلية مبدعة تتولى الرد على هذا التحدي عن طريق القيام بالاستجابة اللازمة لذلك، أي إن نشوء الحضارة هو عملية تحدي واستجابة، وإن تاريخ البشرية إنما هو سلسلة من التحديات والاستجابات، وهكذا نجد بأن هنالك عدداً من فلاسفة التاريخ المعاصرين يعتقدون بنمو الحضارات وازدهارها ثم ضعفها وانحلالها.

سادسا: التفسير المادي:

ان عدد من الفلاسفة والمؤرخين اتجهوا إلى تفسير التاريخ اتجاهاً مادياً، ومن أشهرهم كارل ماركس (١٨١٨ - ١٨٨٣م)، الذي نادى بالنظرية المادية في التاريخ وربطها بالتطور الاقتصادي للمجتمع، ونتج عن هذا الربط تفسير لتاريخ على أساس تقرره المادة، أي إن السيطرة على طرق الإنتاج تقرر أية طبقة وأية نماذج فكرية يمكن أن تسود في مرحلة ما، غير أن الصراع المستمر بين الطبقات الاجتماعية المختلفة سيؤدي في النهاية إلى انتصار البروليتارية أي طبقة العمال، وهكذا يفسر التاريخ حسب الاتجاه الماركسي عن طريق العامل الاقتصادي والمادي الممثل في الصراع بين

طبقات المجتمع عبر العصور والذي تطور في نظام المشاعية البدائية إلى نظام الصراع بين الطبقات المختلفة ممثلاً في الصراع بين السادة والعبيد في العصور القديمة والاقطاعيين والافنان في العصور الوسطى والرأسمالية والأجزاء في العصور الحديثة.

ولا بد من الاشارة إلى أن المفكر الثوري وعالم الاقتصاد الفرنسي سان سيمون (١٧٦٠ - ١٨٢٥ م)، كان من الممهدين للتفسير الماركسي للتاريخ، فهو يقول بأن التاريخ يتلخص في صراع متصل بين العاملين من زراع وصناع من جهة وبين النبلاء ورجال الاقطاع ورجال الدين من جهة أخرى.

سابعا: التفسير المثالي:

حيث يعتبر الفيلسوف الألماني جورج ويلهم فريدريك هيغل (١٧٧٠ - ١٨٣١ م) ، زعيماً للمدرسة المثالية في تفسير التاريخ، والتي تعد العقل أساس كل ما هو موجود، وهذه الفلسفة تقع على نقطة التحول بين قرنين؛ القرن الثامن عشر وتفتح فلسفة القرن التاسع عشر.

أن العقل في نظر هيغل هو جوهر التاريخ، وأن كل شيء في التاريخ كما في المجالات الأخرى قد جرى بشكل عقلاني، إن فلسفة التاريخ هي بالتأكيد - حسب تصور هيغل - سائرة على مسار واحد مستقيم طيلة الزمن، وإن هذا المسار يمر بالإنسان الذي انتقل من حالة التوحش الطبيعية إلى المستوى القانوني والنظامي، وتاريخ البشرية كله يمكن أن يوصف بأنه عملية طويلة استطاعت الإنسانية خلالها أن تحرز تقدماً روحياً وأخلاقياً وهذا التقدم تم احرازه عن طريق العقل البشري، وهكذا يرى هيغل بأن هنالك إرادة مخططة وراء الحوادث التاريخية لأن هذه الحوادث ليست متروكة للصدفة.

المصادر المعتمدة في اعداد المحاضرة:

1-فيصل محمد شقير، نظريات التفسير التاريخي، مجلة الفيصل، العدد:22، دار الفيصل الثقافية، 1979، ص48-52.

2-عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج1.

3-هاشم يحيى الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ.